دور الدولة الحديثة في إلغاء طرق الحج القديمة في إفريقيا

النذير محمد التوم شاع الدين

مستخلص

تعمل هذه الورقة على التعريف بالاثر المباشر لقيام الدولة القطرية–الحديثة في إفريقيا وبروز الحدود السياسية في إلغاء طرق الحج القديمة في القارة، بجانب التأثير في تقليل المنافع المتبادلة بين السكان المقيمين والسيارة السالكين لهذه المسارات. لذلك إرتكزت الورقة على فرضية رئيسية مفادها، أن قيام الدولة الإفريقية الحديثة بحدودها السياسية الموروثة من الإستعمار قلل من المنافع الإقتصادية، الثقافية والإجتماعية لطرق الحج القديمة، أكثر من ذلك قللت من البناء القومى والإندماج الثقافي للشعوب الإفريقية. كما هدفت الورقة لتوضيح مساهمة طرق الحج القديمة في نشر الإسلام والتعريف به في القارة، ايضاً التعريف ببعض مناطق القارة جنوب الصحراء. لمعالجة هذا الموضوع، ركزت الورقة على وصف طرق الحج القديمة، الدولة الإفريقية الحديثة بحدودها الموروثة ودورها في تعطيل طرق الحج القديمة وإنتشار الثقافة الإسلامية، بروز القوميات والدول الحديثة كنتاج للحدود المرسومة من قبل الإستعمار، أوصت الورقة بضرورة الإستفادة من التطور الحالى بعد قيام الدولة الحديثة في إحياء طرق الحج القديمة كمقدمة للتكامل السياسى والإقتصادى بين الدول الإفريقية.

مقدمة:

في إفريقيا، قبل مجيء الاستعمار، ميلاد الدولة الوطنية وبروز الحدود السياسية والإدارية ، كانت تعرف الحدود بين السلطنات والممالك القديمة بمدى النفوذ الذي يمكن أن تفرضه المملكة أو السلطنة على الأراضي أو المدن الإفريقية وممارسة سيادتها عليها، فامتدت حدود ممالك مثل مالي، غانا ، صنغوى والفونج في مساحات شاسعة من صحراء غرب القارة وسودان وادي النيل.[1]فكانت طرق التجارة والحج بعد انتشار الإسلام في القارة، تحديداً غربها في القرون الثاني والثالث عشر الميلادي تعبر أكثر من مدينة أو مركز حضرى دون وجود قيود أو حواجز إدارية وسياسية تعيق حركة القوافل إلى الموانئ الشرقية في كل من زيلع، عيذاب، القيصر، سواكن أو مصوع. وعلى حسب إفادات كثير من المؤرخين والرحالة المسلمين (مثال ابن خلدون والمقريزي والقلقشندي)، مثل الطريق الشمالي–المصري عبر سيناء إو زيلع والطريق البرى عبر السودان إلى الموانى الشرقية و الطريق البحري في شرق القارة عبر موانىء (دار السلام في تنزانيا و ممباسا في كينيا وزنجبار)، أهم طرق الحجيج قبل

---

[1] تكونت مملكة مالى، غرب إفريقيا من خمسة أقاليم تدار عبر حاكم مالى (أقاليم مالي، الصوصو، بلاد غانة، الكوكو والتكرور)، وعاصمتها تسمى بنبى. امتدت حدود المملكة حتى وصلت سواحل المحيط الأطلسي غرباً، وتخوم المغرب الإسلامي شمالاً، بلاد اليسج الوثنية جنوباُ إلى بلاد التكرور شرقاً. أما مملكة غانا، فقد كانت تقع بين منحنى نهر النيجر ونهر السنغال ، وامتدت حدودها حتى شمال غرب إفريقيا، من جنوبى موريتانيا الحالية حتى شمال باماكو عاصمة دولة مالي الحالية، وكانت عاصمتها تسمى كومبى وتقع على بعد ٢٠٠ ميل من باماكو. بينما إمتدت سلطنة الفونج وعاصمتها سنار خلال القرنين السابع والثامن عشر من الشلال الثالث شمالاُ حتى النيل الأزرق جنوباً، ومن البحر الأحمر شرقاً حتى كردفان فى الغرب الأوسط.

ميلاد الدولة الحديثة بحدودها الحالية في القارة.[٢] ومع بروز الدولة الحديثة في إفريقيا، قلت أهمية هذه الطرق بسبب إلغائها بنشأة الحدود السياسية بين الدول، بعد ميلاد الدولة الإفريقية في النصف الثاني من القرن العشرين.

طرق الحج ما قبل بروز الدولة الإفريقية الحديثة، وآثارها الدينية ،الثقافية، العلمية والاقتصادية

مع انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، وتوطيد أركانه بنشأة الممالك الإسلامية على شواطئ النيجر والسنغال، بلاد الهوسا، منطقة بحيرة شاد ووسط إفريقيا وسودان وادي النيل. أصبحت الرحلة بهدف أداء فريضة الحج، وطلب العلم والتوسع في العلوم الإسلامية من أهم سبل التواصل بين مركز العالم الإسلامي في مكة والإطراف إو بين الإطراف فيما بينهم[٣]. الشاهد أن الطرق التي سلكتها قوافل الحجيج الإفريقي مع انتشار الإسلام في القارة قبل ميلاد الدولة الحديثة في إفريقيا، قد تعددت، فعبر شمال القارة وغربها عبر سودان وادي النيل كان هنالك أكثر من طريق للوصول إلى الأراضي المقدسة، والتي كان لها كبير الأثر ليس فقط في انتشار الإسلام ، ولكن أيضاً هنالك أثار ثقافية ، علمية واقتصادية وأيضا اجتماعية، شكلت في كثير من منعطفاتها التاريخية الوجدان الروحي والثقافي والهوّىّ في الدولة الإفريقية ما بعد بروز الدولة الحديثة في إفريقيا. ويمكن هنا أن نحدد أهم هذه الطرق التي سلكها الحاج الإفريقي وأثارها المصاحبة، كالآتي:

١. الطريق المصري: كان يعتبر أقدم وأهم الطرق الحجيج الإفريقي، فكانت مصر تعتبر نقطة تجمع الحجيج القادمين من الأندلس، وبلاد المغرب، وبلاد السودان عبر الطريق الموازي لساحل البحر الأبيض المتوسط ومنها تسير في طريق صحراء سيناء، العقبة ثم إلى مكة والمدينة.
٢. طريق الحج البري (طريق السودان): وجد منذ القرن السابع عشر، يعتبر اقصر من الطريق المصري، يخترق بلاد السودان من المحيط الأطلسي (بلاد الشنقيط وسانغامبيا) إلى موانئ القصير وعيذاب، وسواكن على البحر الأحمر ثم جدة في الحجاز.
٣. الطريق البحري: طريق حجاج شرق إفريقيا البحرية تبدأ من موانئ دار السلام في تنجانيقا ومباسا في كينيا وزنجبار، ثم عدن الى جدة.
٤. طريق تبدأ من نياني عاصمة مملكة مالي، مروراً بمدينة تنبكت فولاته، ثم إلى إقليم توات، وقد سلك منسا موسى في حجه عام ٧٢٤هـ / ١٣٢٤م هذه الطريق، وكان أكثر حجاج إفريقيا من السودان الغربي يسلكونها.
٥. طريق الدرب الصحراوي، والتي تعرف بطريق غات التي تقع في جنوب غرب ليبيا، وكانت هذه الطريق تمر عند أهرامات الجيزة في مصر.
٦. طريق يبدأ من تكدا شرق السودان الغربي في إفريقيا، ثم تمر بمدينة غدامس ، وكانت تمثل أهم المراكز الصحراوية في استقبال قوافل الحجاج، والتي قال عنها ابن خلدون "استبحرت في العمارة، واتسعت في التمدن، بما صارت محطاً لركب الحجاج من السودان"، ثم تستمر هذه الطريق حتى

---

[٢] فضل، يوسف، ٢٠١٠.

[٣] المصدر نفسه.

بلدة تاجورة، ثم إلى مصر، وقد سلك الملك ساكورة (٦٨٤ – ٧٠٠هـ / ١٢٨٥ – ١٣٠٠م) هذه الطريق في رحلة حجه.[٤]

خريطة (١) أهم مسالك الحجيج الإفريقى قبل بروز الحدود السياسة

المصدر :(سامى المغلوث ٢٠١٠)

من المفيد ذكره، أن تعدد طرق الحج في إفريقيا، وعبورها من الشمال، إلى الغرب مروراً بالوسط ثم شرق القارة، قاد إلى آثار إيجابية بين الأفارقة المسلمين، وساهم في تعظيم المنافع الدينية ، الثقافية والاقتصادية وحتى الهندسية– المعمارية في مجتمعات القارة، إذ لعبت طرق الحج القديمة العابرة لمجتمعات عديدة في القارة أدوراً مهمة و كبيرة، خاصة في منطقة الغرب الإفريقي، فبجانب أنها ساهمت في نشر الإسلام، نتيجة لحركة كثير من الأفارقة لأداء فريضة الحج وطلب العلم في القيروان وفاس والأزهر وفي مكة المكرمة والمدينة المنورة. كما ربطت مجتمعات إفريقيا جنوب الصحراء بحضارات وسط، شمال القارة و بحضارات وثقافات البحر الأحمر والجزيرة العربية. هذا بالإضافة إلى التبادل التجاري والمنافع الاقتصادية وازدهار المدن[٥]. إذ نجد أن مدينة مثل تمبكتو ازدهرت بفضل حركة الحجيج والتبادل التجاري، فالمدينة نمت ليس فقط سوقا للتجارة في وسط إفريقيا، بل كانت دار علم انتشر ذكرها حتى سواحل البحر الأبيض المتوسط. وقد كان لرحلة الحج فوائد كثيرة تركت علامات

---

[٤] الشمراني أمل، ٢٠١٦، فضل يوسف ٢٠١٠ . لمزيد من المعلومات أنظر : ابن خلدون: العبر، ٢٠٠٠، الوزان الحسن ، وصف إفريقيا، ١٩٨٣، عبد الرحمن، ابن خلدون: العبر، ٢٠٠٠، محمود، حسن، الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، ٢٠٠٠.

[٥] البلولة، إبراهيم، ٢٠٠٥.

مميزه في استمرار العلاقة بين غرب إفريقيا خاصة ومركز العالم الإسلامي في مكة والمدينة، فقد ساهمت هذه الرحلة في تصحيح عقائد القبائل الإفريقية وتوعيتهم. كما أن هذه الرحلة أصبحت وسيلة من وسائل الاتصال فقد كانوا يتصلون بالعلماء والمهندسين ياخذونهم إلي بلدانهم لتطوير الإدارة بها ولرفع المستوى الثقافي والعمراني وبرز الفن الأندلسي في العمارة كما في جاو وتمبكتو.[٦] من هنا يمكن أن نلخص الأثار الثقافية، العلمية و الدينية لرحلات الحج في الآتي:

١. دينياً، ساهمت طرق الحج القديمة في نشر الإسلام والتعريف بالثقافة الإسلامية وتطوير الوعي الديني لسكان إفريقيا جنوب الصحراء، خاصة منطقة السودان الغربي نتيجة للهجرات والاتصال بين شعوب تلك المناطق وشعوب الجزيرة العربية وشمال إفريقيا.
٢. ساعدت هذه الرحلات في التقاء علماء وفقهاء إفريقيا بأقرانهم في الحجاز وشمال وإفريقيا[٧].
٣. سياسياً، أتاحت الرحلات عبر طرق الحج لسلاطين وملوك إفريقيا بالإلتقاء بالحكام في الدول الإسلامية في كل من مصر والحجاز وشمال إفريقيا والتعرف عليهم فتوثقت علاقتهم بهم كما إقتبسو الكثير من النظم الحضارية لتلك الدول خاصة فيما يختص بالحكم والإدارة.
٤. ثقافياً، ساعدت هذه الطرق في نشر اللغة العربية بين شعوب إفريقيا، كلغة عبادة، تفسير واتصال.
٥. هذا بالإضافة إلى ازدهار ونمو عدد من المدن الإفريقية، التي كانت تعتبر مركزاً للحجيج الإفريقي، مثل تمبكتو، الفسطاط، وجنى وغيرها، حيث كانت هذه المدن، تمثل مركزاً لجذب طلاب المشرق وعلمائهم مما كان له الأثر في التبادل العلمي والثقافي والحضاري.
٦. أيضاً، ساعدت طرق ورحلات الحج القديمة في تطوير النواحي الاقتصادية لسكان إفريقيا جنوب الصحراء، خاصة فيما يتعلق بالنواحي الزراعية، الصناعية والتجارية.

ميلاد الدولة الحديثة في إفريقيا، إلغاء طرق الحج القديمة: الأثر الديني، الثقافي، والاجتماعي لبروز الحدود السياسية

الدولة الحديثة في إفريقيا، هي الدولة التي ورثت دولة الاستعمار في القارة بحدودها الحالية، والتي نشأت في النصف الثاني من القرن العشرين، نتيجة لمتغيرات داخلية وخارجية، ومارست سيادتها ونفوذها على أراضيها بناءاً على الأساس القانوني والاعتراف الدولي. أيضاً يمكن تعريفها بأنها الدولة التي نشأت في أجزاء من الممالك والسلطنات القديمة في القارة، بالتالي اختلفت طبيعة هذه الدولة

---

[٦] إبراهيم، حسين ، ١٩٨٤، ص ٢٢٥.

[٧] مثال: خلال رحلات الحج التى قام بها مشايخ و فقهاء السودان الغربى، تقابل أبو عمرو عثمان بن موسى الجاني: فقيه مالي وكبير قضاتها بابن خلدون في مصر أثناء مروره بها عام (٧٩٩هـ / ١٣٩٨م)، والذي سأله عن بلاد مالي وأهم سلاطينها وشؤون البلاد وأوضاعها. ايضا التقى الفقيه أحمد بن عمر التنبكتي في عام ٨٩٠هـ / ١٤٩٠م بالشيخ عبد الرحمن السيوطي، وخالد الأزهري. كما التقى منسا موسى بالفقيه عبد الرحمن التميمي، وعاد برفقته إلى مالي (الشمراني، أمل ٢٠١٦).

عن تلك الممالك والسلطنات القديمة في إفريقيا، التي كانت تمتد حدودها في مساحات شاسعة من القارة وضمت السلطنة أو المملكة عدد أو أجزاء من الدول الإفريقية اليوم.

مع بروز الدولة الحديثة في إفريقيا، نشأت الحدود السياسية والإدارية كنتيجة طبيعية لقيام هذه الدول، وهى حدود موروثة ومحددة منذ تقسيم الدول بين القوي الاستعمارية في برلين ١٨٨٤، تقلصت واتسعت هذه الحدود نتيجة لطبيعة المستعمر ومدى قدرته على تطويع الحدود هندسياً وأثنوغرافيا[٨]. إن الوظيفة الرئيسية للحدود السياسية تتمثل في تعين سيادة الدولة من الناحية الجغرافية، تحديد حركة انتقال الأفراد والمجموعات [٩]، أي بيان المدى الإقليمي الذي تمارس ضمنه الدولة الحديثة سيادتها وسلطتها ومن ناحية أخرى تعتبر إطاراً لحماية الدولة ومواطنيها من المخاطر الخارجية. هذا الأمر الذي قاد إلى نتيجة مفادها، بروز وحدات وكيانات سياسية عديدة تمارس سلطات قانونية، سياسية ودستورية على حدودها المعرفة دولياً. من هنا يمكن أن نذكر، أن قيام الحدود السياسية بين الدول، مرده وجود وظائف محددة تؤديها الحدود لخدمة النمط السائد للوحدات السياسية في المستوين الإقليمي والعالمي.

فيما يخص العلاقة بين قيام الدولة الحديثة، إلغاء طرق الحج القديمة، لابد من الإشارة هنا، أن بروز الحدود السياسية بين الدول لم تفرضه الدول الاستعمارية بغرض تعطيل/إلغاء طرق الحج القديمة في القارة بشكل مباشر، خاصة وأن طرق الحج كانت تمثل إيراداً ماديً مقدراً لحكومات الدول الاستعمارية في الدول الإفريقية، إنما برزت الحدود نتيجة طبيعية لقيام الدولة الحديثة في إفريقيا والقيام بالوظائف المذكورة أعلاه، فمن الطبيعي إذاً أن تقل أو تلغى أهمية الطرق القديمة للحج، بقيام الدول الحديثة بسبب التطور السياسي، القانوني للوحدات السياسية في القارة ، وتعظيم قيمة سيادة الدول.

لكن بالرغم من ذلك، كان لقيام الدولة الحديثة، بروز الحدود السياسية وتعظيم مفهوم السيادة المرادف لطبيعة الدولة الحديثة، كان له كبير الأثر في إلغاء أهمية طرق الحج القديمة في القارة ، فبخلاف سهولة حركة المسافرين في السابق، أصبحت مؤسسات الدولة المدنية والعسكرية تتحكم في الطرق والمعابر بين الدول، كما تطورت وسائل النقل الجوية والبحرية وأصبح هنالك تنوع في وسائل النقل نتيجة للتطور المصاحب لبروز الدولة الحديثة، وبالرغم من سهولة الحركة وتعدد وسائلها وكثرة أعداد الحجيج في العصر الحالي ودرجة الأمن، الآن نجد أن كلفة الحج تضاعفت مرات عن السابق، إذ أصبح الحج مصدر دخل وإيراد مالي لمؤسسات الدول بما فيها المملكة العربية السعودية، وتعقدت إجراءات الرحلة للحج بحسب قوانين الدول. أيضاً ميلاد الدولة الحديثة وإلغاء طرق الحج القديمة، قاد إلى تعطيل كثير من المنافع الدينية، الثقافية والاقتصادية التي كانت توفرها الطرق القديمة للمجتمعات

---

[٨] أهم أنواع الحدود هي الحدود الهندسية ، والتي ارتبطت بالفترة الاستعمارية الأوربية التي امتدت إلي كثير من بقاع العالم وكان السبب الأساسي لنشوء هذا النمط من الحدود عدم الرغبة في إضاعة الوقت في نزاعات حدودية بين المستعمرين وعدم اهتمامهم أصلا برغبات وحقوق السكان في المناطق المستعمرة الحدود، كما أن الاثنوغرافية تعتبر حدوداً قائمة على أساس مظاهر ثقافية كاللغة والدين والاقتصاد والتقاليد ويحمل هذا النمط من الحدود قدراً كبيراً من الأهمية بالنسبة للسكان على جانبي خط الحدود.

[٩] أبو ضاهر ، كامل، الحدود السياسية. ٢٠١٥.

الإفريقية، بالتالي تعطلت معها كثير من حركات التواصل الطبيعي ثقافياً واجتماعياً. أن حرية الحركة والانتقال التي كانت توفرها طرق الحج القديمة للمجتمعات الإفريقية عبر مسارتها العديدة في القارة ساهمت بجانب تطوير الوعي الديني في تعريف بعض الشعوب في الحجاز وشمال إفريقيا، ببعض مناطق القارة جنوب ، خاصة وأن بعض طرق الحج كانت نفسها طرق التجارة القديمة ، الأمر الذي قاد إلى معرفة الإنسان الإفريقي، ثقافاته، عاداته هذا بجانب توفير بوادر وجود وعى جمعى إفريقي بين المجتمعات شمال وجنوب القارة، نتيجة لوحدة المعتقد (الدين الإسلامي)، التصاهر والمنافع الثقافية – العلمية والاقتصادية المتبادلة. من هنا يمكن أن نلخص الآثار المباشرة لقيام الدولة الحديثة، بروز الحدود السياسية في إلغاء طرق الحج القديمة كما يلي:

١. تكوين دول ذات إثنيات مركبة/متعددة وعقائد دينية مختلفة (إسلامية، مسيحية وتقليدية)، مما أوجد تنافساً بين معتنقي هذه الأديان، الأمر الذي قلل من فرص انتشار الإسلام وثقافته في إفريقيا. كما أن وجود المسلمين كأقلية في بعض الدول الإفريقية نتيجة لقيام الحدود، أضعف من نفوذهم الديني، الثقافي والسياسي، مما عطل الانتشار الطبيعي للإسلام في جنوب القارة،
٢. قطع العلاقات الطبيعية التي بدأت بالتطور بين المجتمعات المسلمة، سلاطين وملوك إفريقيا جنوب الصحراء خاصة في السودان الغربي ورصفائهم في شمال القارة.
٣. تقليل المنافع الثقافية والعلمية المكتسبة من التواصل بين المجتمعات الإفريقية والثقافات والتراث العلمي في الحجاز وشمال إفريقيا.
٤. وقف تطور وازدهار المدن التاريخية مثل تمبكتو ، جنى وسواكن ، وبروز مدن جديدة ، التي طغى عليها الطابع والثقافة الغربية.
٥. تعطيل وتقليل أهمية الموانئ والطرق البرية التي حلت محلها الخطوط الجوية ، مما أفقد أهمية كثير من المراكز التجارية القديمة (مثل تمبكتو، جاو، و الفسطاط) ممل قلل كثير من المنافع الاقتصادية لمجتمعات القارة.
٦. تعطيل حركة الاندماج الثقافي والاجتماعي الطبيعي بين مجتمعات القارة، فكثير من الحجيج الإفريقي، أستقر في المناطق التي كانت تعبرها هذه الطرق وأصبحوا نواة اجتماعية وإثنية في الدول التي تشكلت لاحقا، خاصة في منطقة سودان النيل (السودان الحالي)، إذ أستقر عدد مقدر من حجاج السودان الغربي (الفلانى)، في القطر نتيجة لعوامل أبرزها العامل الاقتصادي ، وعدم القدرة على مواصلة الرحلة إلى الأراضي المقدسة التي كانت تستغرق أعواماً فأثروا البقاء والاستقرار.

من هنا يمكن أن نلاحظ أن هناك إثراً مباشراً لقيام الدولة الحديثة والحدود في تعطيل المنافع الدينية، الثقافية والاقتصادية التي كانت توفرها طرق الحج القديمة لمجتمعات القارة خلال قرون منذ انتشار الإسلام في إفريقيا خلال القرون الثاني والثالث عشر وما بعدهما، خاصة مجتمعات السودان الغربي. بالرغم من ذلك هنالك إمكانية عملية لتطوير هذه الطرق القديمة والاستفادة مجدداً من هذه المنافع ، هذا ما سيتم عرضه في الجزء التالي من الورقة.

تطوير طرق الحج القديمة في ظل الدولة الحديثة وأثاره المستقبلية

يمثل التنوع في وسائل النقل(برية، بحرية وجوية)، في أو بين الدول إحدى مميزات التطور التكنولوجي في القرن العشرين، وتتعاظم أهميته من كون التنوع في وسائل النقل يعطي الأفراد حرية اختيار الوسيلة المناسبة حسب القدرة المادية ودرجة الأمان والسرعة. النقل البرى يمثل أحد أهم وسائل النقل التي يزداد الاعتماد عليها عام بعد عام نسبة لدرجة المرونة، الاستجابة العالية وقدرتها على الربط السريع والسهل بين المناطق الجغرافية المتناثرة [١٠]. اقتصادياً، نجد أن الاستفادة من التطور في مجال النقل البرى في تطوير طرق الحج القديمة يعتبر ميزه لتقليل تكلفة السفر ، خفض للنفقات التي يتحملها الحاج وأيضاً يتيح خلق مجتمعات ونشاط تجاري على طول هذه الطرق.

تاريخياً. مثلت طرق الحج المصري عبر عيذاب أو البري عبر سيناء وطريق سودان وادي النيل أهم طرق الحجيج في القارة الإفريقية. مع التطور الحالي في مجال النقل، نجد أن تطوير هذه الطرق القديمة يمثل قيمة سياسية واقتصادية للدول في العصر الحالي تدفع للتكامل بين دول القارة، وأيضاً ربط القارة الإفريقية بآسيا الغربية والحجاز. إذ نجد أن هنالك إمكانية إحياء الطريق المصري عبر ربط مصر بالسعودية بحرياً بجسر يقدر طوله ب ٢٣ كم وهو جسر تبدو مسافته أقصر بكثير من الجسر الذي يصل بين السعودية والبحرين الذي يبلغ طوله ما يقارب الـ٢٧ كم، والجسر الذي يجري إنشاؤه بين البحرين وقطر بطول٤٢ كم، والجسر المقترح يبدأ من رأس نصران بجوار شرم الشيخ ليمر عبر جزيرة تيران ثم عبر المياه إلي الشاطئ السعودي[١١]. وأيضاً يمكن ربط مصر بإفريقيا جنوب الصحراء عن درب الحج السوداني عبر الصحراء إلى الحدود السودانية المصرية شمالاً. أيضاً هنالك إمكانية إحياء طريق سودان وادي النيل القديم الذي سلكه حجيج السودان الغربي في السابق عبر طريق قاري يربط دول غرب إفريقيا بشرقها ليمر عبر دولة السودان إلى الموانئ السودانية الشرقية كسواكن سواء عن طريق طرق معبدة أو خط سك حديد. وهو طريق شبيه بطريق المنطقة التجارية الحرة، قيد الإنشاء بين كيب تاون والقاهرة والذي يربط بين دول التجمعات الاقتصادية الثلاث مجموعة التنمية لإفريقيا الجنوبية (SADC)، ومجموعة شرق إفريقيا(EAC)، والسوق المشتركة لشرق وجنوب إفريقيا (COMESA). كما يمكن ربط مناطق الحجيج في شرق ، جنوب أو جنوب إفريقيا بالموانئ الشرقية في القارة (ممبسا، مصوع ، جيبوتي) ومنها إلى مكة، وذلك بربطها عبر خطوط مواصلات برية (طرق معبدة أو سكك حديد).

إن الأهمية من تطوير أو إحياء طرق الحج القديمة ، تتمثل في المنافع الاقتصادية، والسياسية التي يمكن تحقيقها من هذه الطرق، لعدد مقدر من دول القارة خاصة تلك التي تمر عبرها هذه الطرق،

---

[١٠] كمونة، حيدر، أهمية النقل والمرور في التنمية الاقتصادية والاجتماعية.متوفر من:

www.almadapaper.net

[١١] زكي، هالة، طرق الحج القديمة تستعيد شبابها. ٢٠٠٥.

فقط يتطلب الأمر توافر الإرادة السياسية للدول وقدرة مالية تغطى نفقات هذه المشاريع. من هنا يمكن أن نحدد أهمية إحياء هذه الطرق القديمة في الآتي:

١. اقتصاديا، تساعد هذه الطرق في تقليل التكلفة، وإيجاد مصادر دخل للدول، وتطوير المناطق والمدن التي تمر عبرها هذه الطرق. فدول مثل السودان ومصر يمكن أن تكسب كثيراً من أحياء هذه الطرق الأمر الذي يعود بالمنفعة الاقتصادية والتنموية في هذه الدول.
٢. تدعم هذه الطرق فكرة التكامل الاقتصادي بين الدول الإفريقية، وذلك بإمكانية وجود إليه نقل موحدة مثل (Gulf Air & Air Asia)تساهم فيها أكثر من دولة، إضافة إلى إمكانية إنشاء طريق استثماري تتشارك تكلفته ومنفعته عدد من الدولة كما هو الحال مع الطريق الذي يربط مدينة الإسكندرية كيب تاون مروراً بدول الكوميسا، بما فيها السودان.
٣. ربط المدن والعواصم الإفريقية بشبكة مواصلات برية يعزز من فرص التواصل الثقافي والاجتماعي التي توقف تواصلها الطبيعي ببروز الدولة الحديثة و الحدود السياسية.
٤. سياسياً، يمكن أن تساعد هذه الطرق في تطوير فكرة الإتحاد الإفريقي في اتجاه التكامل السياسي بين دول القارة، وتذويب جزئ للحدود السياسية، كما هو الحال في منطقة الشنغن الأوربية.
٥. تساعد على توفير الأمن على طول مسار هذه الطرق بسبب الضوابط وإجراءات السلامة وتأمين هذه الطرق ، خاصة في منطقة غرب إفريقيا.

خاتمة

برزت الدولة الحديثة في إفريقيا، كغيرها من مناطق العالم نتيجة لمتغيرات سياسية طبيعية داخلية وخارجية، ولرغبة المجتمعات في إيجاد كيانات سياسية خاصة بها، تحدد هوياتها وثقافاتها الخاصة وأيضاً للرغبة في ممارسة النفوذ السياسي. مع قيام هذه الدولة برزت الحدود السياسية التي قادت إلى تعطيل مسالك الحج البرية القديمة، الأمر الذي قاد إلى جملة أثار دينية، وثقافية واقتصادية عطلت معها التطور الطبيعي في العلاقات بين شعوب القارة، مما كان له كبير الأثر على انتشار الإسلام وثقافته في القارة. مع التطور الحالي في مختلف مناحي الحياة، ورغبة الدول في التكامل وتقاسم المنافع الاقتصادية وتحقيق الاستقرار، نجد أن هنالك أهمية لإحياء هذه الطرق القديمة والتي يمثل تطويرها مدخلاً للتكامل السياسي والاقتصادي بين دول القارة. برغم الميزة السياسية، الاقتصادية والثقافية لهذه الطرق ، يتطلب الأمر قدراً من الإرادة السياسية، الوعي بالتكامل و القدرة المادية والاستقرار السياسي، خاصة وأن كثير من دول القارة تعانى أزمات مثل الفقر، عدم الأمن والاستقرار والتبعية الاقتصادية.

المصادر والمراجع

- إبراهيم، حسين، انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٤.
- ابن خلدون، عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في معرفة أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، الجزء السابع ، بيروت ، دار الفكر، ٢٠٠٠.
- ابن خلدون، عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في معرفة أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، الجزء الخامس، بيروت ، دار الفكر. ٢٠٠٠.
- الوزان ، الحسن،، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، الطبعة الثانية، الجزء الأول، بيروت، دار الغرب الإسلامي. ١٩٨٨.
- البلولة، إبراهيم، الهجرات والقوافل التجارية عبر الصحراء الكبرى وأثرها في نشر الإسلام والثقافة الإسلامية، دراسات دعوية، العدد ٩، ٢٠٠٥.
- الشمرانى، أمل ، الرحلات الإفريقية للحج، قراءات إفريقية ٢٠١٦. متوفر من:
- qiraatafrican.com
- كامل أبو ضاهر، الحدود السياسية، غزة، الجامعة الإسلامية ، كلية الآداب، ٢٠١٥.
- كمونة، حيدر ،أهمية النقل والمرور في التنمية الاقتصادية والاجتماعية.متوفر من:
www.almadapaper.net
- محمود، حسن، الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، القاهرة، دار الفكر العربي، ٢٠٠٦.
- المغلوث، سامى، أطلس الحج والعمرة: تاريخاً وفهماً، الرياض: العبيكان للنشر.٢٠١٠.
- يوسف فضل، الوجود المغاربي في السودان كبير ومتشعب و(الحسوباب) أول من استقر بسوبا، محاضرة قدمت بمعهد الدراسات الإفريقية، الرباط، جامعة محمد الخامس ٢٠١٠.
- زكي، هالة، طرق الحج القديمة تستعيد شبابها. ٢٠٠٥. متوفر من:
http://www.ahram.org.eg